

# حديقة الغروب



"نمر"



غازي بن عبدالرحمن القصيبي

## حديقة الغروب

"شعر"

العبيكان  
Obekon

٢٠١٤٢٨ هـ مكتبة العبيكان

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القصيبي، غازي عبدالرحمن

حديقة الغروب./ غازي عبدالرحمن القصيبي. - الرياض، ١٤٢٨ هـ

٧٨ص؛ ١٤ × ٢١سم

ردمك: X-٢٠٥-٥٤-٩٩٦٠

١- الشعر العربي - السعودية

أ- العنوان

٧٨٧ / ١٤٢٨

ديوي ٩٥٣١، ١١١

رقم الإيداع: ٧٨٧ / ١٤٢٨

ردمك: X-٢٠٥-٥٤-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

امتياز التوزيع

شركة مكتبة العبيكان  
Obekun

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٢٤٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص.ب. ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

الناشر

شركة العبيكان  
للأبحاث والتطوير  
Obekun

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص.ب. ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.





# شكر

خالص شكري للصديق الأمير فيصل بن عبدالله بن  
محمد آل سعود على هديته القيّمة صورة الغلاف، وهي  
من مجموعته غروب، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة،  
الرياض، ٢٠٠٣م.



إلى  
تالية وليث ودانة  
في  
حديقة الشروق



# المحتويات

الصفحة

الموضوع

- حديقة الغروب ..... 13
- بدر الرياض ..... 19
- دمع الخيل ..... 23
- محسون! ..... 25
- حياة! ..... 35
- لبنان ..... 41
- عادل ..... 47
- شاعر البحرين ..... 53
- عن امرأة نارية ..... 59
- لك الحمد! ..... 63
- يا أعز الرجال! ..... 69



---

## حديقة الغروب

---

خمسٌ وستون.. في أجفان إحصارٍ  
أما سئمتَ ارتحالاً أيها الساري؟

أما مللت من الأسفار.. ما هدأت  
إلا وألقتك في وعاء أسفار؟

أما تَعِبْتِ مِنَ الأَعْدَاءِ.. مَا بَرِحُوا  
يَحَاوِرُونَكَ بِالْكَبْرِيتِ.. وَالنَّارِ؟

وَالصَّحْبُ؟ أَيْنَ رِفَاقُ العُمُرِ؟ هل بَقِيتُ  
سِوَى ثَمَالَةٍ أَيَّامٍ.. وَتَذَكَارِ؟

بلى! اكَتَفَيْتِ!... وَأَضْنَانِي السُّرَى! وَشَكَ  
قَلْبِي العِنَاءَ!... وَلَكِنْ تَلِكِ أَقْدَارِي

\*

أَيَا رَفِيقَةَ دَرَبِي!.. لَوْ لَدِي سِوَى  
عَمْرِي.. لَقَلَّتْ: فِدَى عَيْنِيكَ أَعْمَارِي

أَحْبَبْتَنِي.. وَشِبَابِي فِي فَتَوْتِهِ  
وَمَا تَغَيَّرَتْ.. وَالأَوْجَاعُ سُمَّارِي

منحتني من كنوز الحب.. أنفَسها  
وكنتُ لولا نِداكِ الجائِعِ العاري

ماذا أقولُ؟ وددت البحر قافيتي  
والغيم محبرتي... والأفق أشعاري

إن ساء لوكِ فقولي: " كان يعيشني  
بكلِّ ما فيه من عنفٍ.. وإصرار

وكان يأوي إلى قلبي.. ويسكنه  
وكان يحمل في أضلاعهِ داري"

وإن مضيتُ.. فقولي: "لم يكن بطلا  
لكنه لم يقبَّلْ جبهة العار"

\*

وأنتِ!.. يا بنت فجرٍ في تنفّسه  
ما في الأنوثة... من سحرٍ وأسرارٍ

ماذا تريدان مني؟ إنني شَبَحُ  
يهيمُ ما بين أغلالٍ.. وأسوارٍ

هذي حديقة عمري في الغروب.. كما  
رأيت... مرعى خريفٍ جائعٍ ضارٍ

الطيرُ هاجر.. والأغصانُ شاحبةٌ  
والوردُ أظرقُ يبكي عهده أذارٍ

لا تبعيني! دعيني!.. واقراءني كتبي  
فبين أوراقها تلقاك أخباري

وإن مضيتُ.. فقولي: "لم يكن بطلاً  
وكان يمزج أطواراً بأطوار"

\*

ويا بلاداً نذرت العمر.. زهرتَه  
لعزها!.. دمت!.. إني حان إبحاري

تركتُ بين رمال البعيد أغنيتي  
وعند شاطئك المسحور.. أسماري

إن ساء لوك فقولي: لم أبع قلمي  
ولم أدنس بسوق الزيف أفكاري

وإن مضيتُ.. فقولي: "لم يكن بطلاً  
وكان طفلي.. ومحبوبي... وقيثاري"

\*

يا عالم الغيب! ذنبي أنت تعرفه  
وأنت تعلمُ إعلاني.. واسـرارِي

وأنت أدري بإيمانٍ مننتَ به  
عليّ.. ما خدشته كل أوزاري

أحبتُ لقياك.. حسن الظن يشفع لي  
أيرتجى العفو إلا عند غفارة؟

م٢٠٠٥

---

# بدرالرياض

---

ولاح لي بدرُ الرياض شاحباً  
عيونه مناجمُ الدُمُوعِ  
ووجهه خارطة الكُدُرِ  
قلتُ له، كعادتي:

"أهلاً وسهلاً..."

بالنديم في السَّمَرُ

قلتُ له، كعادتي:

"يا مرحباً .. بزينة الآفاق"

يا مرحباً .. بزورق الأشواق"

لكنه أشاح عني واجمأ

وضنَّ بالسَّلامُ

وضنَّ بالكلامُ

قلتُ له:

"ماذا دهاك يا قمر؟!"

نسيّتني؟!

"أنا صديقك القديم .. يا قمرًا"

أجابني بدر الرياض غاضباً:

"أما ترى الجراح .. والصغار الميتين ..

والدُخَان .. والشَّـررَ؟

قل لي، وأنت واحدٌ من البَشَرِ،

أهكذا فِعِلُّ البَشَرُ؟"

"عَفْوَكَ! يا بدر الرياضُ

من قال إنَّهم بِشَرُّ؟

عقولهم من الحَجَرِ

قلوبهم من الحَجَرُ  
يقودهم إلى سَقَرُ  
منافق .. مشعوذُ  
دمّهم .. ولم يمِتْ  
وانتَحروا .. وما انتَحَرُ

\* \* \*

تنهد البدر.. وغابَ  
في سحابة الأحزانُ  
وعدتُ وحدي .. للسَّهَرُ

م٢٠٠٣

# دمع الخيل

- للصديق أحمد بن سلمان بن عبد العزيز رحمه الله -

يا من طوى الأيام.. برقاً خاطفاً

كالمر.. يلهثُ في خطاهُ شهابُ

يتساءل الأصحابُ: أين مُتيمُّ

بالفوز؟.. أين حصانه الوثابُ؟

تبكي الجياد.. إذا ترجل فارسُ  
ومن الصهيل.. توجعُ وعذابُ  
أرأيتَ دمعَ الخيل؟ كم من عبرةٍ  
في الروح.. لم تعلمُ بها الأهدابُ

م٢٠٠٢

---

# محسون!

---

- في وداع الصديق النبيل الدكتور محسون جلال رحمه الله -

على قمةٍ ترنو إلى البحر.. ترقدُ

كأنك صقرٌ حيث حلقَ يلحدُ

تخيرتَ للنوم الأخر وسادةً

من الغيم.. تستدني النجوم.. فتصعدُ

سموت.. وأنسامُ الحياةِ رطِيبَةٌ

وتسمو.. وإعصارُ المنون يعرِبدُ

عليك سلامُ الله.. ما سَقَطَ الندى

على جبهةِ الصحراءِ.. والفجرُ يُؤلِّدُ

عليك سلامُ الله.. ما طابت الوغى

لفرسانها.. والنصرُ يدنو.. ويَبْعُدُ

عليك سلامُ الله.. ما قَسَتِ النوى

على كبدٍ مصدوعةٍ.. تتنهدُ

عليك سلامُ الله.. ما طافت الرؤى

على "سيدي بوسعيد" .. التي تتوسدُ

\* \* \*

أتونس هذي؟! أين ما كنتُ أشهدُ؟

أتونس هذي؟! أين ما كنتُ أعهدُ؟

أتيتُ.. فلم تُشرقْ لرؤيائي بسمةُ

وجئتُ.. فلم يفرحْ بلقيائي أغيدُ

خليج "قمرتٍ".. بالوجوم مُسريلُ

ولون الضحى في شمس "قرطاج" أسودُ

ولم يبقَ في "المرسى" من الصبحِ سامرُ

ولا رددَ اللحنَ الموشحَ.. منشدُ

معاذ الوفا!.. ما زلتِ تونس فتنةً

ولكن طرفي بالفجيعة.. أرمَدُ

\* \* \*

أسائلُ هذا القبر: " كيف ضَمَمته؟  
أما كان كالبركان.. يعلو.. ويخمد؟  
أما كان في حجم الحياة.. بصحوها  
وأمطارها.. هل تُحتوى.. أو تُحدِّد؟  
وكان عنيفاً كالمحيطِ إذا طغى  
وكان رقيقاً مثل طفلٍ يُهددُ"  
وأعرف أن الطين يرجع للثرى  
ويبلى.. وعمر الروح في الغيبِ سرمدُ

\* \* \*

أبكيك؟.. يدعوني إلى الدمعِ مشهدُ  
كئيب.. وينهاني عن الدمعِ مشهدُ

عهدتُكَ تَأبَى الدَّمْعَ كَبْرًا.. وترتضي  
بدمعٍ حبيسٍ في الضلوعِ يُصَفِّدُ  
تعدُّ بكاءَ العينِ عجزاً.. وذلةً  
وتبكي بقلبٍ واهنٍ يتفصِّدُ  
أأبكيك؟ لا أبكيك! أكتم في دمي  
بكائي.. ويبدو أنني المتجلِّدُ

\* \* \*

أمحسنون! هل أروي حكاية ثائرٍ  
قضى عُمره، أو جُلّه، يتمردُّ؟  
أبى أن يجاري الناس.. واختار خطه  
كما شاءها.. إذ شاءها.. لا يقدُّ

وطبعُ الورى طبعُ القطيع.. يسره  
 خضوعٌ.. ويؤذيه الجسورُ المجددُ  
 وهل يستريح الناسُ إلا إذا قضوا  
 على كل فذٍّ.. حيثما يتفردُّ؟  
 وتعجبُ أن عاداك قومٌ.. وخاصموا  
 وأعجبُ إن حاباك قومٌ.. وأيدوا

\* \* \*

أمحسون! هل أروي حكاية ناغمٍ  
 عنيدٍ.. تحدّى الفقر.. والفقر أعندُ؟  
 وقاتل من أجل الجياع بعالمٍ  
 حضارته تذرّو الجياع.. وتحصدُ

وسافر في طول البحار.. وعرضها  
يواسي.. ويعطى لقمة.. ويضمّدُ  
إلى أن وهى عظم.. وشابتُ عزائمُ  
وما زال غول الفقر في الأرض يُفسدُ  
وما زالت الدنيا أسيرة شهوة  
تهيم بعجل السامري.. فتسجدُ  
يعود بحرمان.. نصيرُ مبادئ  
ويرجع بالأسلاب من يتصيدُ

\* \* \*

أمحسنون! هل أروي حكاية صاحب  
وفي.. وحزب الأوفياء مُهدد؟

تعوّدتَ في وجه الرياءِ صراحةً  
وكم قائلٍ: "يا بئسَ ما يتعوّذُ"  
تحاربُ إن حاربتِ ضِمنَ رُجولةٍ  
فلا أنتَ غدارٌ.. ولا أنتَ تحقدُ  
وتصدقُ.. والدنيا عدوةٌ صدقها  
تكابدُ.. والكذاب بالكذبِ يسعدُ  
تُحملُ هذا القلبُ.. ما لا يطيقه  
ومن لك بالقلبِ الذي ليس يُجهدُ؟

\* \* \*

أمرُ على "دار المسرة" .. كاسفاً  
وكم كنت آتيها.. ونفسي تغردُ

هنا.. كان لي عمرٌ جميلٌ.. ورفقةٌ  
كِرَامٌ.. وأشعارٌ حِسانٌ تُرددُ  
هنا.. كان لي حصنٌ حصينٌ.. وفارسٌ  
نبيلٌ إذا ما ضقتُ بالعيشِ يُجدُ  
هنا كانت الدنيا.. وكُنّا ملوكها  
وكان لنا عرشٌ.. وسعدٌ.. وسؤددٌ  
نعمتُ بحلمِ رُمتهِ ليس ينقضي  
سلامٌ على الحلمِ الذي يتبددُ!  
سلامٌ على عمرِ الشبابِ الذي انقضى  
وأواه!.. لو كان الشبابُ يخلدُ

\* \* \*

برغمي.. ورغم الحب.. أخلفتُ موعداً

وما بيننا إذ يأذن الله موعداً

م٢٠٠٢

---

# حياة!

---

- لشقيقتي حياة رحمها الله -

أختاه!

وجهك بارد

وأنا أقبّله.. وتلسعني الدموع..

ويرجع الطفل المبعثر في السنين..

يعانق الكهل اليتيمُ  
نمشي، أنا والطفل، أبحث عن  
صباي.. وعن صباك.. فلا  
أرى غير الهشيم.  
كم كنت ضاحكة.. وياكية..  
وثائرة.. وهادئة..  
وحانية.. وقاسية..  
كأنك كنت تقتبسين  
أمزجة الحياة  
(أم كنت أنت هي الحياة؟)  
واليوم وجهك باردُ  
وأنا أغض الطرف عنه..

ألوذُ بالوجه الذي  
خبأته في الذكريات  
أيام كُنَّا فرحة السمار..  
كُنَّا ثورة الأحرار..  
كُنَّا ليلة الأقمار..  
كُنَّا بهجة الزمن الوسيم  
واليوم.. وجهك بارد  
وأنا أدبُ على عصا التذكار..  
مسلوب الشباب..  
فمن يردُّ الروح في الكهل السقيم؟  
أختاه!  
وجهك بارد

وأنا أحسّ برودة الأشياءِ..

في قلبي..

أحسّ برودة النصل المُغلغلِ

في الصميمِ

يتفرّق الأحبابُ..

ترحل نشوةُ الأطيابِ

يخبو سامر الأصحابِ..

أحتضن الوجوم.. وأغمس

الأقلام في الدمع المجدِّ..

أكتبُ الشعر العقيمُ

أختاهُ!

وجهك باردُ

ألقي على الوجه الغطاء،

أقول:

"نامي! يا شقيقة كل أوهامي..

وأيامي.. وأفراحي.. وأتراحي

تعبت من الخواء..

وزورة الأشباح في الليل البهيم

نامي! أعز العمر.. أجمل

أمسيات العمر.. أنبل أمنيات

العمر..

نامي في حمى الله الرحيم"

م٢٠٠٥



---

# لبنان

---

وفي كل يوم.. تموتُ.. و تحيا

تموتُ.. و تحيا..

كأنكَ وحدك، خلّ الحياةُ

وعشق المماتُ

وفي كل يوم نجيئك..  
نحتضن الطفل في مهده..  
ثم نتلو عليه طقوس الوفاة  
ندسك في اللحد..  
ثم نعيدك حياً..  
ونعجب من كثرة المعجزات  
وأنت، كقديسة في الأساطير  
تغفر للمقاتلين..  
وتلثم أيدي الجناة  
وتحمل أرزك، هذا المخضب،  
بين يديك  
تضمده من سهام الأعداء

ومن طعنات الرفاق الأباة

\* \* \*

سلامٌ عليك!

وأنتَ وحيدٌ

تعالج بالكبر عريدة القاذفات

وترسل قلبك ينبض في

أضلع الثاكلات

سلامٌ عليك!

على عرس قانا الذي رقصت فيه

أم الحضارة.. فوق دماء الطفولة

في نشوة الفاجرات

ونحن - لك الله! - نشهدُ أنك

رمز البطولة والتضحياتُ

ونقسم إنا الذين انتصرنا

ونهرب بالنصر.. نقتسمُ النصر..

نستقبل النصر بالزغرداتُ

وتحضنُ نصركَ: ألفَ قتيلٍ

وعشرين ألف جريحٍ..

وعاصمة دكها الموت.. جللها الصمتُ..

ما كدرته سوى النادباتُ

ونحن - لك الله! - نقسم إنا

هزمتنا بك الغاصبين..

وخضنا بك الهول..

إنا صفعنا بك الغطرساتُ

سلامٌ عليك

تقاتل للعرب والفرس..

- لله درك! -

عنتر هذا الزمان..

زمان الزعامات..

والضحكات..

غَدَتْ مُبْكِيَاتُ!

٢٠٠٦م



---

# عادل

---

- لشقيقي عادل رحمه الله -

أخي! ربُّ جُرحٍ في الأضالع لا يهدأ

أعانقه.. والليلُ يمطرني سُهدا

وأستصرخ الذكري فتسكبُ صابها

ويا طالما استسقيت من نبعها الشهدا

أخي! لست أدري أيُّ سهميَّ قاتلي  
 غيابك.. أم أني بقيت هنا فردا؟  
 تفرَّق أصحاب الطريق.. فلا أرى  
 أمامي سوى اللحد الذي يحضن اللحدا  
 على كل قبرٍ من دموعي قطرةً  
 وقافيةً.. تضدي المودع.. لو يُضدى!  
 أصون عن الأنظارِ دمعي.. وربما  
 تماسك من هدَّت قواعده هداً

\* \* \*

أعادل! هل حقاً تركتُك في الثرى  
 وأهديتُ هذا القبر أنفس ما يُهدى؟

وهل عدتُ حقاً للديار التي خلتُ  
وفياً لدنيايَ التي تخضر العهدا؟  
مضيتُ كأننا ما قضينا حياتنا  
معاً.. ولبسنا العمر بُرداً طوى بُردا  
كأن الشبابَ الحلو ما كان بيننا  
يهبُ كأنفاس الخمائل.. أو أندى  
كأن المنى ما سلمتنا قيادها  
فهمنا على الآفاق نغرسها وردا  
كأن الرؤى ما غازلتنا حسانها  
وما زينتُ صعبا.. ولا قرّبتُ بعدا

كأن الصبا ما كان يغوى بنا الصبا  
فلا فتنةً نادتُ. ولا شادنُ نداءً  
كأننا خلُقنا في المشيب يسومنا  
من العقل ما كنا نضيق به مُردًا

\* \* \*

إلى الله أشكو.. لا إلى الناس.. أني  
أكابد من عيشي العقارب والرُيدا  
وأني إذا ما غاب خلُّ حسبتني  
فقدت حسامي.. والعزيمة.. والزندا  
ويا رب! هذا راحلٌ كان صاحبي  
وكان أخي يُصفي.. وأُصفي له.. الودًا

وكان صديقي والشباب صديقنا  
وصادقني.. والشيب يحصدنا حصدا  
وما فرَّ.. والأعداءُ حولي كتائبُ  
وما ضاق.. والظلماءُ صاحبةُ رعدا

\* \* \*

يقول سهيل: "ما لعينك لم تفض؟"  
فقلت له: أكدت.. وقلبي ما أكدي  
بكيت أخي.. حتى ثوى الدمع في الحشا  
وأجهش صدرُ أصطلي نوحه وجدا  
فمن أجله الدمع الذي سدَّ محجري  
ومن أجله الدمع الذي استوطن الكبدِ

م٢٠٠٦



---

## شاعر البحرين

---

- في تكريم الصديق الشاعر الشيخ  
أحمد بن محمد آل خليفة، رحمه الله -

لم يبقَ في العمر شيءٌ.. غيرُ ماضيهِ  
رُدِّي إليَّ الصبا الریان.. رُدِّيهِ!

بحرين! كان الشباب الحلوُ ثالثنا  
واليوم ثالثنا شيبُ أواريه

وكان شعري بحراً.. في تدفُّقه  
فصار شعري صخراً.. في تأبَّيه  
أين الجميلات؟! كان القلب مزدحماً  
بهن.. يرقصن رقصاً في نواحيه  
واليوم.. أحنو على قلبي.. وأحسبه  
وكر العناكب.. تبني بيتها فيه  
وأين رنة عودٍ داعبتُ قمرًا  
فخرٌ في الكأس.. يسقينا.. ونسقيه؟  
وأين غاب رفاقي.. بين مرتحلٍ  
بلا لقاء.. وحيُّ لا ألقىه؟

تغيّر الناس.. إلا شاعراً غرداً  
شاب الربيع.. وما شابت قوافيه

\* \* \*

بحرين! شاعرك المعطاء.. أعرفه  
يجري الوفاء زُلالاً في قوافيه  
ما خان عهدك.. والأحلام تسعده  
وصان ودك.. والآلام تشقيه  
غناك في العرس.. حتى اختلت مائسة  
بين الضفاف بثوب من درايه  
وناح شعراً.. وقد أطرقت واجمة  
كأن كل الذي يبكيك.. يبكيه

على المحرق.. من أبياته عبقُّ  
 وفي المنامة.. سحرٌ من أماسيه  
 في كل شبرٍ له روضٌ وداليةٌ  
 تبارك الله! ما أغنى سواقيه

\* \* \*

يا صاحبي في القوافي! جئتُ محتضناً  
 عمراً قضينا معاً أبهى لياليه  
 أقول: "يا شاعر البحرين! معذرة!  
 إذا عثرتُ بحقٍ لا أوفيه  
 إذا تعثرَ شعري في محابره  
 كما تعثر دمعي في مآقيه"

أقول: " بحرین! .. کم غنّاکِ فابتسمي  
له .. وضمّيه تحناناً .. وغنّيه  
وهدهديه .. بلحنٍ من مزامره  
وطوقيه .. بعقدٍ من لآليه "

م٢٠٠٤



---

## عن امرأةٍ ناريةٍ

---

من الإعصارِ جئتِ... أم النسيم؟

وناري أنتِ؟... أم بردُ النعيم؟

مزاجك لا يقرُّ له قرارٌ

كبرقٍ.. لا يقرُّ على الغيوم

يجرّعني السعادة.. حين يهوى  
وحين يشاء.. يسقيني همومي  
ويمنحني السلام.. وحين يطفى  
يقلبني على جرح أليم

\* \* \*

أجيبني! أيُّ درب قاد خطوي  
بلا وعدٍ.. إلى الوجه الوسيم؟  
وفيم اخترتني.. والأرض ملاءي  
بإعجاب المسافر.. والمقيم  
وكيف - وتمرح الحلوات قربي -  
رأيتك دُرّة العقد النظيم؟

هو القدر.. الذي لا رأي فيه  
فلا ندري البريء من المأموم

\* \* \*

إذن، يا فتنتي، انهجري شواظاً  
على حطبي.. وجمراً في هشيمي  
وردّي لي المودع من شبابي  
وصبّي لي الثمالة من كرومي  
خذني هذي الدقائق.. فهي تجري  
تصير إلى غبار في النجوم  
وحين أغيب عنك.. أعود وحدي  
إلى دنيائي.. كالطفل اليتيم

وتفتقديني.. ويضجّ حزن

طواني أمس في العشق الرؤوم

\* \* \*

سنندم إذ تفرقنا الليالي

وهل تأتي الندامة.. بالنديم؟

م٢٠٠٣

---

## لك الحمد!

---

لك الحمد! والأحلامُ ضاحكةُ الثغرِ

لك الحمد! والأيامُ داميةُ الظفرِ

لك الحمد! والأفراحُ ترقصُ في دمي

لك الحمد! والأتراحُ تعصفُ في صدري

لك الحمد! لا أوفيك حمداً.. وإن طغى  
 زماني.. وإن لجّت لياليه في الغدر

\* \* \*

قصدتك يا رياهُ والأفق أغبرُ  
 وفوقي من بلوأي قاصمة الظهر  
 قصدتك يا رياهُ والعمرُ روضةً  
 مُروعةً الأطيّار.. واجمةً الزهر  
 أكتّم في الأضلاع ما لو نشرته  
 تعجبت الأوجاع مني.. ومن صبري  
 ويشمت بي حتى على الموت طغمةً  
 غدت في زمان المكر.. أسطورة المكر

ويرتجز الأعداء.. هذا برمحه  
وهذا بسيف حده ناقع الحبر  
لحا الله قوماً صوّروا شرعه الهدى  
أذاناً ببغضاء.. وحجاً الى الشرِّ  
يعادون ربّ العالمين.. بفعلهم  
وأقوالهم ترمي المصلّين بالكفر!  
يهدّدني دجالهم من جحوره  
ولم يدر أن الفأريزار كالفأر  
جبانٌ يسوق الأغبياء إلى الردى  
ويجري إلى أقصى الكهوف من الذعر

وما خفتُ.. والآسادُ تزأرُ في الشرى  
 فكيف بخوفي من روبيضة الجحر؟!  
 ولم أخشَ يا ربَّاه موتاً يحيط بي  
 ولكنني أخشى حسابك في الحشرِ  
 وما حدثتني بالفرار عزيمتي  
 وكم حدثتني بالفرار من الوزرِ

\* \* \*

إليك عظيم العفو أشكو مواجعي  
 بدمع على مرأى الخلائق لا يجري  
 ترحلُ إخواني فأصبحتُ بعدهمُ  
 غريباً.. يتيم الروح.. والقلب.. والفكرِ

لك الحمد! والأحبابُ في كلِّ سامرٍ  
لك الحمد! والأحبابُ في وحشة القبرِ  
وأشكر إذ تعطي بما أنت أهله  
وتأخذ ما تعطي.. فأرتاحُ للشكر!

م٢٠٠٦



## يا أعز الرجال! (١)

- في وداع الصديق يوسف الشيراوي، -رحمه الله- رجل لا يتكرر-

يا أعزَّ الرجال!... ماذا تقولُ

أطويلُ هذا الأسى.. أم يطولُ؟!

وليالي الفِراق.. كيف تراها

وشعاع الصباح فيها قتيلُ؟

---

(١) سيلاحظ عشاق المتبّي في القصيدة أصداء كثيرة لقصيدة المتبّي التي تبدأ:

"مالنا كلنا جو يا رسولُ" .. وكنا - يوسف وأنا - نعشقها

والمغاني الطلولُ.. هل تستردُّ الفرحَ  
 الغابرَ.. المغاني الطلولُ؟  
 والزمانُ الذي دفنناه ظُهُراً  
 أترى يرجع الزمانُ الجميلُ؟  
 يا أعزَّ الرجال! يعرف قلبي  
 أن حمل الفراق عبءٌ ثَقِيلُ  
 ولياليه موحشاتٌ.. شكولُ  
 وأماسيه.. رنةٌ.. وعويلُ

\* \* \*

وتراءيتَ لي.. ووجهك حبُّ  
 وحنينٌ.. ولهفةٌ.. وذهولُ

وتأمّلتني.. وقلت: تجلّداً  
لا أطيّقُ الدموعَ حينَ تسيلُ  
هذه سنةُ الحياة.. غروبُ  
وشروقُ.. ومنزلُ.. ورحيلُ  
وكبيرُ يمضي.. ويأتي صغيرُ  
وفصولُ وراءهنَّ فصولُ  
أعقل الناس من يعيش.. ويدري  
أن هذي الحياة طيفٌ يزولُ  
كفكف الدمع، يا صديقي، وانهضُ  
واحضن اليومَ فهوَ حالٌ تحولُ"

\* \* \*

يا أعزَّ الرجال! أمرٌ مُطاعُ  
نضبَ الدمع.. وارتوى المنديلُ

\* \* \*

أدخلُ الآن، باسمًا، عالمَ الذكرى  
وأمشي فيه.. وأنتَ الدليلُ  
ها هنا واحة الصداقة... عشبُ  
وغديرٌ.. ونسمةٌ.. ونخيلُ  
وهنا قاعة الدراسة.. فكرُ  
وعقولُ تعبٌ منها عقولُ  
وهنا خيمة الصيد... أعد لي  
"مالنا كلنا جويًا رسولُ؟"  
وهنا غرفة الضجيج.. هراءُ  
وأقاصيصُ جلُّها منحولُ

وهنا مدخل الوزارة.. شوطٌ  
والقرارات في السباق الخيولُ  
ها هنا أنت... فالزمانُ مليءٌ  
وهنا أنت... فالمدى مأهولُ

\* \* \*

كنت حشداً من النفوس غريباً  
ما لنفسٍ بين النفوسٍ مثيلُ  
تتلاقى فيك العواصفُ والصحو...  
ويلقى الهجير ظلُّ ظليلُ  
تتلاقى فيك البراءةُ والمكرُ..  
ويلقى الخبير طفلُ جهولُ

كُلُّ شَيْءٍ لِكُلِّ شَيْءٍ... عَدُوٌّ  
كُلُّ شَيْءٍ لِكُلِّ شَيْءٍ... زَمِيلٌ  
عَجَباً مِنْكَ! كَيْفَ تَعْتَوِرُ الْأَضْدَادُ  
رُوحاً.. وَلَا يَضْجُ النُّزِيلُ؟  
فِي أَسَارِيرِكَ ابْتِسَامٌ مُرِيحٌ  
وَعَلَى نَاضِرِيكَ حُلْمٌ نَبِيلٌ  
عَجَباً مِنْكَ! قُرْبُ كُلِّ مُحِبٍّ  
لَكَ نِدْمٌ مَقَارِعٌ.. وَعَدْوٌ  
عَجَباً مِنْكَ! كَمْ تَثِيرُ حُرُوباً  
ثُمَّ تَمْضِي مَوَادِعاً... وَتَقِيلُ

كُنْتَ تَمْشِي مَعَ الْمَلُوكِ... وَحِيناً  
فِي جَمْعِ الْمَهْمَشِينَ.. تَجُولُ  
كُنْتَ عِنْفاً وَرِقَّةً.. وَخِصَاماً  
وَسَلَاماً.. كَأَنَّكَ الْمُسْتَحِيلُ!

\* \* \*

شَدَّ دُنْيَاكَ لِلْبَرِيقِ طُمُوحُ  
أَيُّ سِحْرِ هَذَا الطُّمُوحِ الْقَتُولِ!  
أَيُّ سِحْرِ.. يَغْوِي.. وَيَغْرِي.. وَيَغْوِي  
عَطَشٌ لَا يُبَلِّغُ مِنْهُ غَلِيلُ  
قَدْ خَبَرْتَ الْحَيَاةَ.. وَهِيَ جِبَالُ  
وَأَلْفَتِ الْحَيَاةَ.. وَهِيَ سَهُولُ

عُدتَ من رحلة الطمـوح وفي  
روحك من لفحة الطمـوح ذبولُ  
اطَّرح حُلَّةَ الوزارة! والبسُ  
فكرةً ما لحسنها تبديلُ  
أنت.. أنت الأستأذُ يخلد فينا  
حين يُنسى المَبْجَلُ.. المسؤُولُ

\* \* \*

أقبل الليل.. ذاك ركنك.. إجلسُ  
نتسامراً.. ليلُ الشتاء طويلُ  
"كيف كان اللقاء بالموت؟ قل لي!  
أكما يحتوي الخليل.. خليلُ؟

أملحُ هذا الردى... أم فظيغُ؟  
ومريرُ.. أم طعمه معسولُ؟  
أتلقُك واجمأً؟.. أم تلقُك  
وضجُ الترحيبُ.. والتأهيلُ؟"  
قلت لي باسمأ.. لدي جوابُ  
والتفاصيل، يا صديقي، فضولُ  
"إلفُ هذا الهواء أوقعَ في  
الأنفس أن الحمام" (١) شروبيلاً  
دع حديث الردى.. فإني ملولُ  
وأعطني غيره.. فإني عجولُ!"

(١) - من بيت المتبّي الشهير:

"إلفُ هذا الهواء أوقعَ في الأذُن فس أن الحمام مرُ المذاق"

يا أعزَّ الرجال! انتصف الليلُ..  
كلانا في صبحه مشغولُ  
نمُّ قريراً.. لديك حُزني وضحكي  
"فعلى أي جانبك تميلُ؟" (١)

م٢٠٠٤

---

(١) الشطر للمتبي.